ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 06 العدد: 03(2021) ص 92-106

الأمير عبد القادر بين مواجهة الغزو الفرنسي وتحديات الجبهة الداخلية

Emir Abd-el-Kader Confronts French Invasion And Home Front Challenges

د. حسان مغدوري
جامعة الجلفة (الجزائر)
iruohga@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
24 افريل 2021
تاريخ القبول:
25 ماي 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الأمير عبد القادر،
- ✓ مقاومة،
- ✓ الإستراتيجية العسكرية

الملخص:

حينما احتلت فرنسا الجزائر في 1830 لم يكن الشعب الجزائري قد تجاوز فيه تناقضات النظام الاجتماعي العثماني ، وقد حاول مواجهة الغزو الاستعماري الذي كان متفوقا من حيث التنظيم والتجهيز، وتمكن عبر التعبئة العسكرية المشحونة بالتيار الديني الجهادي من رفع التحدي في أكثر من مناسبة ، غير أن هشاشة البنية القبلية كانت غير قادرة على التخلص من ترسبات الماضي العثماني ومن الذهنية الموروثة التي كانت اكبر ثغرة استغلها جيش الاحتلال في تحطيم المقاومة الوطنية وإذا كان الأمير عبد القادر قد نجح في تسيير المرحلة لكنه لم يحسم المعركة لصالحه.

Article info

Received
24 April 2021
Accepted
25 May 2021

Keywords:
- ✓ *Emir Abd-el-Kader ;*
- ✓ *Resistance ;*
- ✓ *Military strategy.*

Abstract :

when France occupied Algerian in 1830, Algeria people had not overcome the contradictions of ottoman social system, and tried to confront the colonial invasion, which was superior in terms of organization and equipment, and was able through the military mobilization charged with the religious jihad current to raise the challenge on more than one occasion, but the fragility of the tribal structure was unable to get rid of the sediments of the ottoman past and the inherited mentality that was the biggest loophole exploited by the occupation army in destroying the notional resistance and if lemir abdelkader had he managed the stage but did not settle the battle in his favour.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

1. مقدمة:

نال الأمير عبد القادر قدرا مستفيضا من البحث في الماضي والحاضر وشد اهتمام الباحثين والمعجبين من مختلف التخصصات التي تناولت حياته من زوايا متعددة وبرؤى مختلفة فهو الإنسان الشاعر والرجل الصوفي والقائد العسكري والحاكم السياسي وهو الباعث للدولة الجزائرية بعد عملية الغزو الأولى لعام 1830 وإذا كانت جل الدراسات وقفت عند تقييم تجربته التي استمرت في الجزائر إلى 1847 واستكملت في منفاه إلى غاية وفاته 1883 فإنها غالبا ما تعلق نجاحات الأمير وإخفاقاته من زاوية المواجهة مع القوات الاستعمارية ولا تقف عند البيئة الاجتماعية وتناقضاتها ومخلفات العهد العثماني وتعقيداته فحالة الهرج والمرج التي ألمت بالشعب الجزائري بعد توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830 وما تبعها من حالة الارتباك في السلطة وفي المجتمع، واتساع الاضطراب والفوضى في كنف القبائل الجزائرية التي ترددت في اتخاذ مواقف صريحة وناضجة، أمام جيش كان قويا ومنظما عسكريا ومعززا بنظريات فلسفية واجتماعية سرعان ما لعب فيها القلم دورا محوريا لم تكن أهميته اقل شانا من العتاد العسكري.

سنحاول عرض نماذج عن تحديات الجبهة الداخلية والتفكك الذي هدد تماسك القبائل وعزز تموقع الجيش الاستعماري ضمن كيان الشعب الجزائري وإستراتيجية قادة جيش الاحتلال في استغلال هذه الثغرات ، وهو ما يطرح جملة من الأسئلة عن السياسة العثمانية حيال القبائل وتداعياتها على مستقبل الجزائر والتناقضات الاجتماعية التي أربكت تماسك الشعب الجزائري و أرقت الأمير، وكيف تعامل معها ولماذا تمكنت السلطة الاستعمارية من استغلالها وكيف ساهمت في إنهاك المقاومة من الداخل .

2. السياسة العثمانية حيال القبائل الجزائرية:

لقد كان على الأمير عبد القادر أن يواجه أزمة الزمن الطارئ الناتج عن الغزو الفرنسي العسكري وتوسع الاحتلال وموروث الزمن الغابر الذي أفرزته سياسة العثمانيين بالجزائر ، من خلال مجتمع كان ضمن صورة مجموعات بشرية متفاوتة من حيث الواجبات والحقوق بين قبائل خاضعة ، وقبائل متعاونة متحالفة ، وبين ثالثة ممتنعة ومنعزلة في أراضي الجنوب والمناطق الجبلية[1] .

لقد عمل الحكام الأتراك في الجزائر على استخدام قبائل المخزن كسند يدعم قلتهم العددية فهم لم يتجاوزوا في مجملهم 20.000 نسمة، وقد كانوا في تقلص لم يتجاوز 15000ن[2] . كما لم يتمكنوا من تجنيد أكثر من 12000 رجل بين أتراك وكراغلة في أوقات الحرب[3] بل أن عددهم لم يتجاوز3661 رجلا سنة 1829 في حين بلغ عدد أفراد الفرق التابعة للقبائل المخزنية العاملة في الريف والمدن إلى 30 ألف رجل ، كان منهم 15000 محارب تحت تصرف البايليكات الثلاث موزعة على مختلف أنحاء البلاد وكانت قبيلتا الدواير و العبيد المخزنية بباياليك التيطري تستطيعان المساهمة عند الحاجة ب 1200 محارب[4] و 600 فارس وكانت رهن طلب الباي لحفظ الأمن وجمع الضرائب وحراسة الطرق ومعاقبة الجناة

كان المخزن يقدم بهذه الوظائف دعما لميزانية الجيش ويقلص من تجنيد العسكر من الأناضول ويعزز بذلك موارد وثروة الجند الأتراك وهكذا تحول المخزن إلى مرابط في الحصون و عين على مسالك العبور ومراقب لحركة الأسواق الكبرى والذراع التي تستطيع استخلاص الضرائب وإخضاع الثائرين[5].

حاول الأتراك التقليل من عداء بعض القبائل التي كانت تستوطن جنوب التيطري على غرارالبواعيش وأولاد الشعيب وأولاد نايل وقد تجند أولاد المختار للقيام بنفس الدور رغم عدم صدور الموافقة من باي التيطري على ذلك [6] ، وبمقدار ما كان هذا النظام يدعم سيطرة ونفوذ الأتراك على الجهات البعيدة من الايالة الجزائرية كان بالمقابل يربط منافع المخزن وامتيازاته بالمهمة الموكلة له، و يفرض عزلة على القبائل الممتنعة عن الخضوع في المناطق الجبلية بجرجرة والبابور والاوراس وبني مناصر والونشريس وبني شقران وطرارة [7] وفي المناطق الصحراوية بربوع أولاد نايل إذ ظلت فرقتي يحي بن سالم ملازمة للصحراء الكبرى وأولاد أم لخوة في منأى عن أي تبعية للأتراك خلال

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الحكم العثماني وحملت اسم القبائل الفارة مع بداية الغزو الاستعماري الفرنسي لمناطق الصحراء وهي التي لم تخضع قط لسلطة الاتراك طيلة الحكم العثماني[8]

إذا كانت قبائل المخزن قد أعفيت من الضرائب الإضافية وانحصر عطاءها على الضرائب الشرعية كالزكاة والعشور التي كانت تفرض على أراضي الملكية الخاصة ، فان قبائل الرعية في جنوب التيطري قد تم إلزامها إلى جانب الضرائب الشرعية بمختلف الضرائب الإضافية من لزمة وغرامة ، مقابل ما كان يعتبره الأتراك حقوقا للدولة على استغلال أراضي البايليك سواء في الزراعة أو الرعي

كان أولاد نايل المنحدرين من مليك في عهد الأتراك يتبعون باي المدية الذي كان يقبض عنهم ضريبة العسة في فصل الصيف، وكان يقوم بقيادة عدة حملات ضدهم في فصل الشتاء وقد اقترح أولاد نايل بعدها على الباشا بان يتم وضعهم تحت حماية الخوجة الذي سيتقاضى بيده ضريبة الربيع ثم ضريبة العسة في فصل الصيف ، بشرط ضمان التخلص من حملات باي المدية ، غير أن هذه التسوية كانت تتعثر فبقت التبعية متأرجحة بين الباي والباشا[9].

كان الأتراك لا يتدخلون مباشرة في تنظيم وقيادة قبائل أولاد نايل ، فهي قد كانت تتمتع باستقلالية ولم تكن علاقتهم إلا بالفرعين الكبيرين ، وهما أولاد الغويني و أولاد سي احمد التي كانت تتمتع بإدارة الرقابة لكافة أولاد نايل مقابل الاستفادة من نصيب واسع في الضرائب وبعض الامتيازات ، وكانت هذه المراكز تمثل في كل الأوقات المواقع الرئيسية للحكم وكانت لا تتردد في الثورة على الأتراك كلما حانت الفرصة لذلك [10]

هكذا اوجد النظام التركي في الجزائر مجتمعا غير متجانس لا من حيث الوضعية والدور ولا من حيث المكانة والطموح ، فقبائل المخزن كانت تحض بامتياز الأمن على أملاكها والحماية من الدولة بدعمها وبعيدة عن الغارات والأعباء التي تكاثرت مع تراجع مداخيل الدولة من البحر، وبنت ثروة من مبالغ نقدية لا يستهان بها على حساب قبائل الرعية والقبائل الممتنعة، فكان شيخ أولاد خليف المنتمية لنظام المخزن يفرض رسم العسة على قبائل الشعانبة الرعوية والأرباع وأولاد يعقوب والزرارة وسعيد عطية مقابل التردد على الأسواق والمراعي[11] ، وسمح هذا الوضع بقيام المخزن كهمزة وصل بين الرعية والحكام وسلطة قوية يسري نفوذها على مناطق واسعة من الايالة الجزائرية .ويستفيد فرسانها من الامتيازات التي كانوا يحصلون عليها لقاء مشاركتهم في جولات المحلة [12] .

لقد كانت قبائل المخزن كيانا زراعيا وتنظيما عسكريا وجهازا إداريا يستمد مبررات وجوده من الدولة وهي خليط من أصول وأعراق مختلفة فمنها من استوطن الأرض بالحيازة ومنها ما تقرر حمايتها في الأرض التي كانت تقطنها ، ومنها من تم استقدامه كمغامر أو متطوع من جهات مختلفة في وقت كانت فيه قبائل الرعية تستند إلى فكرة النسب والأصل المشترك[13] .

ولعل هذا الوضع هو الذي دفع ببعض القبائل أمام ضغط الحكام والمتابعة وكثرة المطالب إلى إعلان العصيان والوقوف في وجه فرق المحلة، فقد أعلنت قبائل أولاد نايل في مطلع القرن 18 العصيان مرتين، ففي 1763 قاد عصمان باي حملة ضد أولاد سي احمد ، وفي 1773 سار إليها قائد التيطري السيد سفطة فهزم وقتل سنة 1773[14] .ثم سار إليهم صالح باي [15] من قسنطينة وأرغمهم على الطاعة ، واستمر التذمر من سياسة الضرائب وحركة المحلة فثارت درقاوة 1775-1806- وتمرد بن الاحرش بنواحي قسنطينة 1803-1804- وانتفضت قبائل فليسة بنطقة القبائل 1758-1767- 68-71-1807-1810 وأعلنت قبائل الأطلس المتيجي بنو صالح وسوماتة وبنو جعاد في 1824العصيان[16] ..

استخدم الأتراك فرسان المخزن كسلاح ردع ضد معارضة القبائل، وفتحوا الباب واسعا أمام تجاوزات البايات وموظفيهم ، الم تجرد حملة احمد المملوك باي قسنطينة على منطقة تقرت سنة 1816 10.000 ريال بسيطة من أيدي سلاطين بني جلاب ، وإتلاف 200 نخلة [17] وقد حذا حذوه الباي محمد الكبير حينما زحف ب 13000 فارس من المخزن و2000 من الانكشارية على 15 دوار ، وقد جردهم من دوابهم من 6700 خروف وعنزة و5000 جمل و630 بغلا و720 بقرة واسر

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

60 شخصا من النساء وقد فعلها باي التيطري مصطفى بومزراق 1825 حينما أغار على الأرباع وعاد ب 10700 جمل والتي بيعت في مكانها لقبائل القوم الحليفة ، واحضر معه 120 من أعيان القبيلة المنكوبة وفي السنة الموالية لقي أولاد المختار الشراقة نفس المصير على يد رجال المخزن الذي نهبوا 500 جمل و 4000 خروف [18] .

لقد خلفت هذه السياسة نسيجا اجتماعيا مختلا يفتقد للحمة البناء الوطني، وأفرزت مواقف متناقضة بين قبائل المجتمع الجزائري ، ففي الوقت الذي كانت فيه القبائل المخزنية تنظر بعين الرضا لجهاز الحكم ، كانت قبائل الرعية والقبائل الممتنعة في المقابل تختزن حقدا للحكم المركزي [19] ولم تكن تنتظر سوى فرصة للانتقام من المخزن ، وهذه الصورة تأخذ معناها في مواقف القبائل من الغزو الفرنسي عام 1830 و من زحف الاستعمار على أرضها ومن الأمير عبد القادر حينما حاول رص الفجوات بين الصفوف وبناء اللحمة الوطنية التي كانت تتعثر أمام أزمة النظام الاجتماعي العثماني .

3. تحديات مخلفات العهد العثماني:

كان الانقسام الذي أحدثه النظام العثماني في كيان المجتمع الواحد قد سمح للأتراك من خلال دعم عسكري معتبر نسبيا من المحافظة على السيطرة على البلاد برمتها وساعدت مضاعفات المنافسة والصراع بين الوحدات القبلية الكبرى على إثارة مناخ حرب بين المخزن والرعية ، ولم يكن أسهل على فرنسا من استنساخ النظام التركي الذي هزمته ، بعدما كانت قد تلقت مقترحات الأتراك باستخدام المخزن الذي استجاب بدوره سريعا ، وأعرب صراحة عن وضع خدماته تحت تصرف الفرنسيين حرصا منه على مكاسبه التقليدية وخوفا من ردة فعل القبائل الرعية التي ظلت حاقدة لفترة طويلة.

لقد كان أول فعل قامت به سلطات الاحتلال، يمثل أول زلة وقعت فيها ، ذلك أنها اعتقدت بان الأتراك كانوا يمثلون عدوهم الأول ، ولذلك تم ترحيل معظمهم إلى خارج الجزائر، غير أن قبائل المخزن فقدت بهذا الإجراء الفرق العسكرية التركية التي كانت توفر لها الدعم، و تجاوزت فيه قبائل الرعية والقبائل الممتنعة عتبة الخوف الذي طالما ارقهم في الماضي ، وأحالهم على التحرر المطلق من كافة القيود السابقة ووفر سياقا سمح بتجل الأحقاد في صورة التحرشات والاعتداءات التي أخذت تتسع لمختلف جهات الوطن، وباتت إشكالية السلطة محل جدل ، ولذلك اتجهت القبائل تبحث عن مركز قيادة يحمي البلاد ويعبد الطريق أمام ظهور الأمير عبد القادر[20].

حظي الأمير بمبايعة و تزكية الطبقة الواعية وأعداء الاضطرابات، هؤلاء الذين وجدوا في القبائل التي ظلمها نظام الأتراك سندا في مسعاهم وبقدر ما استفاد الأمير من هذا الظرف بقدر ما كان مطالبا بحل معضلة الوفاق بين القبائل من اجل إقرار النظام في البلد، وضمان سلطته على القبائل التابعة للنظام السابق في مجتمع مقسم بالأحقاد [21].

بايع بنو عامر وبنو هاشم و الغرابة الأمير عبد القادر ، ولم يكن ذلك كافيا له ، على الأقل في إقليم وهران الذي كانت تتجاذب الزعامة عليه خمسة سلط محلية[22] . ، وكان يتعين عليه توسيع المبايعة لبقية القبائل الأخرى ، لقيام سلطة مشروعة تكون متحررة من ضغوط الجبهة الداخلية ، وتسمح له ببناء جدار مقاومة يرتبط بالقضية المصيرية ، سيما وان الأمير كان في مواجهة تحد لا يستهان به، إذ كيف لشخص أن يوسع دائرة المبايعة وهو قد تولى السلطة وفي جعبته 2 بوجو (3.5 فرنك) ، وكيف يمكن له أن يتحكم في مصاريف حكومة منظمة ، وكيف سيتمكن من كسر مقاومة القادة السابقين وأصحاب الطموح ممن لفظتهم الأزمة، بل وكيف سيفرض القانون على ربع مساحة الجزائر وبماذا استطاع الصمود لمدة 15 ستة أمام قوة عسكرية بلغت 106000 رجل[23] .

كان الأمير عبد القادر يعي اختلال التوازن بينه وبين جيش الاحتلال ففي الحملة التي قادها الماريشال فالي وشارك فيها الدوق دورليان على محور موزاية وحينما تردد الأمير في مواجهة العدو نعته فالي بالجبان، فرد عليه الأمير لا يمكن أن يقاس جيشي بما تملك، من حيث التكوين والانضباط والتجهيز ،وإذا أردت المواجهة فانظرني بعد هدنة 3 سنوات ريثما أجهز نفسي ، وحينها سنتقابل في سهل ممدود[24] .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والواقع آن الحملة العسكرية على ممر موزاية قد اخذ فيه فيلق الزوافة نصيبا قال عنه الكولونيل لاموريسيار (Lamoricière) للدوق اورليان – (duc d'Orléons) إن زوافنا قد حاربوا مثل اسود حقيقية .تحيا الملك ؟ فشد الأمير بحرارة على يده[25]. وهل يمكن القول إن هذه التجربة ستعزز إستراتيجية استخدام العنصر المحلي في الحرب كما سيأتي تبيانه لاحقا .

لقد كان الأمير عبد القادر بحاجة إلى إنتاج مجتمع أخر، تأخذ فيه العلاقات بين القبائل منحى جديد يقوم على تجاوز الخلافات التاريخية والاستسلام لمتطلبات المرحلة بما يكون كفيلا لإنقاذ وجود لا حدود، فقد كان يتعين على قبائل المخزن أن تضع امتيازاتها المادية الموروثة وخبرتها تحت سلطة مركزية واحدة يمكن الاستعانة بها من اجل إقناع القبائل الأخرى بضرورة تجاوز الحزازات النفسية التي كانت تقسم الصفوف وترقية مستوى الوعي بالمصير المشترك، ولعل الأمير قد أدرك في مختلف المواقع التي كان يجابه فيها جيش الاحتلال أهمية التنظيم في ترجيح الجهد الجماعي على المجهودات الفردية للمحاربين[26]

بعدما وضع الأمير حدا للزعامات المحلية المنافسة بإقليم وهران من خلال تنفيذ حكم الإعدام في حق الشيخ الغمري الذي كان يرأس قبيلة أنجاد الكبرى في جنوب وهران، وبعد وفاة سي لعربي وهو في السجن ، وبعدما هزم مصطفى بن إسماعيل واخضع الدوائر، أضحى الأمير سيدا لمقاطعة وهران من حدود المغرب إلى تخوم الشلف ومن البحر إلى مداخل الصحراء [27] .

أسس الأمير أول حكومة له في إقليم وهران ، وكان عليه تشكيل جيش منظم من اجل تعزيز سلطته وبناء مشاريعه المستقبلية ، فالحكومة كان عليها ضمان تنفيذ الأوامر والقضاء على التجاوزات وتنظيم الإدارة والقضاء واستخلاص الضرائب، وحرص الأمير على متابعة بناء الجيش وتنظيمه بنفسه ، كما فوض جزءا من سلطته لخلفائه الذين كان يتعين عليهم تنصيب الأغوات التابعين لسلطتهم وتشكيل السلم التصاعدي للحكم بتعيين القياد لإدارة شؤون القبائل ، و كان القادة السياسيون في يوم المعركة ، قادة عسكريين يحشدون الفيالق ويواجهون العدو

قسم الأمير وهران إلى قسمين ، في الشرق بقيادة الخليفة مصطفى بن تهامي و في الغرب بقيادة صهره الذي وضع تحت أوامر البوحميدي ، حيث كان الأول يتولي الحكم في معسكر كعاصمة وكان الثاني في تلمسان وفي خلال عشرين شهرا تمكن الأمير من كسب مبايعته في منطقة غريس وقوض الفوضى رغم الحرب والصراعات وأعاد النظام .

علينا أن نشير، بان كافة قبائل التيطري كانت تعيش في وضعية من الفوضى وغياب القانون وصراع الزعامات ، إنها نفس الصورة التي عاشها الأمير عبد القادر في وهران ، قبل وصول صدى النظام الذي كانت القبائل في التيطري متعطشة إليه من اجل وقف الصراعات بين الزعامات ، ولذلك تقدم ممثلون من الأعيان لطلب الأمير عبد القادر وإقرار النظام في التيطري [28].

لقد استجاب الأميرعبد القادر لسكان التيطري، لكنه كان يخشى من ردة فعل الفرنسيين، إذ وبعد مفاوضات امتنعت سلطات الاحتلال منح موافقتها للأمير في توسيع سلطته على أقاليم الايالة في الوسط والشرق ، وأثناء فترة التريث التي حاول الأمير استغلالها ، ظهرت معارضة من بعض القبائل التي اعتبرت المجاهد القديم قد تحالف مع فرنسا عندما وقع على معاهدة دي ميشال1834، وظهر رأي يطالب بعدم استحقاقه لجمع الضرائب، وقد كان هذا الادعاء يتغذى من صدى أصوات أولاد سي لعربي بالشلف ، لذلك تحرك الأمير باتجاه المنطقة لقبر الفتنة ، لكن يبدو أن صدى هذا التيار قد تغلغل عند سكان الصحراء في منطقة التيطري وإذا بالإخبار ترد من هناك ، تتحدث عن شريف قدم من الصحراء يحمل اسم الحاج موسى الدرقاوي [29] .

كانت ثورة موسى الدرقاوي تمثل معطى حاسما في تعجيل قرار الأمير عبد القادر بعبور الشلف وإلحاق المدية إلى سلطته ، وانسحاب موسى الدرقاوي بعدها إلى مليانة بعدما خلف وراءه نساءه وأطفاله أسرى في يد الأمير ، وقد فتح هذا التطور جدلا محتدما بين الأمير وسلطة الاحتلال في مدى أحقية كل طرف بسيادته على المكان ، فالحكومة الفرنسية لم تقف في وجه سقوط المدية في يد موسى الدرقاوي ، ربما كان ذلك يستثمر في شحن الصراعات بين القبائل الجزائرية ويترقب مزيدا من متاعب لم الصفوف غير أن الأمير عبد

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

القادر، يكون قد فسر صمت سلطات الاحتلال بعدم معارضة فرنسا لمشاريعه في المنطقة[30] .

دخل الأمير المدية متبوعا بوحدتين من وهران وفيلقين نظاميين ، واضطر الحاج موسى الانسحاب إلى مليانة ، وعين الأمير محمد البركاني خليفة على المدية ، وعين الحاج محي الدين الصغير على مليانة ، وكان هذا التحول في إستراتيجية الأمير ذريعة أسست عليها فرنسا قرارها بنقض رأي الجنرال دارلان دروي (D'erlon Drouet)، ذلك أن معاهدة دي ميشال في 26 فيفري 1834 ، قد تكتمت عن موضوع تسطير الحدود[31] .

ويبدو أن ثورة موسى الدرقاوي قد كانت تنبع من تيار ديني وصوفي عام ، كان يغذي فكرة الجهاد ضد الغزاة ، وربما يكون ذلك وراء صفح الأمير عنه بعدما أعاد له أسراه، من بينهم نساءه وأطفاله بعد أيام قليلة من المعركة.

في الوقت الذي كان فيه الأمير يستقبل وفد ممثل عن الحكومة العامة الفرنسية في المدية ، وصلته أخبار عن إعصار بدا يتشكل بمقاطعة وهران، فعاد أدراجه سريعا ، فالأحداث الطارئة التي وقعت في غياب الأمير عند المدية، أجبرته على العودة لإقليم وهران ، ففي نهاية مارس 1835 دخل بعض قادة قبائل الدوائر والزمالة في محادثات مع الوافد الجديد الجنرال تريزل (Trézel) ، وطلبوا منه تقديم الولاء، شريطة إعادة توحيد القبيلتين و بعث المخزن الذي كان على عهد الأتراك [32]

لقد كان هذا أول مؤشر عن عودة متاعب الماضي العثماني فقد تكللت المساعي الفرنسية في اختراق الجبهة الداخلية بشكل رسمي عبر اتفاقية الكرمة 16 جوان 1835، و التي كانت تمثل نقضا لمعاهدة 26 فيفري 1834 ، كما كان هذا الحدث الجلل ، احد ابرز منعرجات المقاومة في القرن التاسع عشر، فالزمالة والدوائر كانت من أهم القبائل الكبرى في إقليم وهران التي استسلمت، وتحولت بذلك إلى جدار دفاعي وهجومي لجيش الاحتلال .

لقد اشتعلت الحرب من جديد في 15 جوان 1835، وانتهت في 28 جوان من نفس السنة في المقطع، أين واجه الأمير 2600 رجل دخلوا مدينة ارزيو وسقط مابين 280 قتيل و500 جريح و 17 أسير، واسترجاع مدفع وعدد ممن تم تصفيتهم، وفقد تريزل عينه ولم تبق قبيلة وعائلة لم تحص ضحاياها في صفوف الجزائريين[33] .

في 27 نوفمبر1835 جهزت القوات الفرنسية نفسها ودعمت جيش وهران، وسيرت الحرب باتجاه معسكر بدعم الزمالة والدوائر تحت إمرة الجنرال كلوزيل (Clauzel) في مهمة لإنهاء عاصمة الدولة الفتية في معسكر، وكان على فرنسا ترضية الزمالة والدوائر بوعدهم تعيين الباي إبراهيم يوشناق الذي كان بايا في مستغانم على معسكر لكن ذلك لم يكن، إذ وبعد غزو معسكر في 6 ديسمبر 1835 وتم إعادة إبراهيم إلى منصبه الأصلي في مستغانم يوم 8 ديسمبر[34] .

لقد كان مخطط فرنسا في استمالة الزمالة والدوائر اعنف ضربة تلقاها مشروع الأمير عبد القادر، فهذه القبائل لا طلما تمتعت بخبرة سياسية وعسكرية وإدارة شؤون البلاد، وهي مازالت تحتفظ بأسرار مفاصل الجغرافيا والتاريخ ومقدرات البلاد ، وستفتح الباب إمام خيارات جديدة للقبائل المخزنية التي ظل موقفها متأرجحا بين ولاءها للأمير وبين ولاءها لفرنسا على امتداد فترة مقاومة الأمير.

4. الأمير عبد القادر أمام تعزيز ثقة القبائل الصحراوية:

كان سقوط معسكر يمثل نكسة عسكرية وسياسة ، وضعت الأمير أمام مسؤولية هؤلاء الذين بايعوه بالأمس و جاءوا للوم عليه اليوم ، لكنها جعلته يحرص أكثر على مد سلطانه للمناطق التي يمكن أن تكون مراكز تهديد لسلطات الاحتلال في العاصمة ، فعاد إلى المدية في 22 افريل 1836، وكان عليه إدخال تعديلات على النظام السكاني ، فعزل 80 كرغليا ممن كانوا يتمتعون بنفوذ كبير ، وأودع السجن ابن مصطفى بومزراق الباي السابق للمدية .

حينما فشلت حملة كلوزيل على قسنطينة سنة 1836 ، أدرك الأمير عبد القادر المخاطر التي أضحت تهدد مصيره، وحرصا منه على تشتيت القوات الفرنسية، أعطى أوامره من مقر قيادته بالمدية بالهجوم على المراكز الفرنسية بين الأطلس والساحل ، وتدفقت ألاف

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حشود المقاومة من متيجة والتيطري ، وقد نقلت الرعب إلى العاصمة[35] . ثم شرع في نسج علاقات مع احد ابرز الناشطين في المقاومة بمتيجة سيدي السعدي واخذ يثير الثورة في قبائل حجوط وسوماتة وبني صالح والخشنة ، لكن وبقدر ما كانت هذه الضربات الاستباقية ذات منفعة بقدر ما جعلت فرنسا تعيد مراجعة إستراتجيتها في شكل لاحتلال الذي يتعين تطبيقه في الجزائر، ولذلك تقرر احتلال البليدة في عهد دمريمون Damrémont خوفا من امتداد لهيب الثورة الى قبائل متيجة ، وليكون احتلال البليدة حاجزا يفصل قبائل الغرب عن قبائل الشرق [36] .

رفض أولاد سي أمحمد من فرع مليك بن نايل سيطرة أولاد المختار المخازنية في منطقة بوغار وتمردوا عليهم 1831-1832-1834.[37] وفي سنة 1836 حاول الأمير فرض سلطته على قبائل جنوب التيطري واقر ضريبة لم يكونوا قد اعتادوا على دفعها منذ سنوات عديدة ، لكن تلك الوحدات الصغيرة لم تكن ترى فائدة في قيام حكومة مركزية على غرار ما كان عليه النظام التركي الذي اعتاد هذه السياسة التي أثقلت كاهل الرعية وظلت صورة الأتراك تلازم بقاء الطاعون في أذهانهم كما لم تكن تستوعب بان استمرار استقلالها الذي حصلت عليه كان يتوقف على مدى التضحيات التي كان يجب إن تقبله[38] . وأمام محاولة امتناع تلك القبائل عن الاستجابة ، ساق الأمير غارات على اقرب القبائل التي كانت في متناول جيشه.

على ما كان يحمله هذا الإجراء في ظاهره من استفزاز، فانه كان وفق متطلبات المرحلة ضرورة إستراتيجية في بناء دولة ناشئة ، وكردة فعل للخوف الذي سيطر على عقول قبائل الصحراء من مغبة امتداد سلطة الأمير الضريبية قي التيطري ، فان قبائل الصحراء قامت بمكاتبة بن عودة المخطاري الذي كان يمثل احد ابرز القادة في جنوب منطقة بوغار، واقترحت عليه إن يكون على رأس تجمع جيش القبائل للوقوف في وجه الأمير، ويبدو أن الاستغاثة بهذا الرجل كان لاعتبارات تاريخية فقد كان أولاد المختار من قبائل المخزن ، وكان لهم نصيب في المعرفة العميقة بقبائل التيطري.

لم يكن هذا التجمع الكبير عدديا يخلوا من تهديد صريح للأمير عبد القادر، فهو قد ضم قبائل اولاد نايل وولاد المختار والزناخرة وبقية الخيام المجاورة التي كانت تقيم بالسهوب الواسعة في المنطقة ، غير إن الأمير كان حازما في موقفه، وكان يعي مدى خطورة التقاعس عن ضبط الواردات التي أصبحت في المناطق الشاسعة التي امتدت اليها سلطته[39].لذلك لم يتردد في تسيير جيش من قبائل وهران ب 8000 حصان وأكثر من الف راجل ، وأعطى الأمر للخليفة بن علال الذي استخلف سي محمد الصغير في مليانة للالتحاق به في موطن الزناخرة بكافة جيشه النظامي و القومة التابعة لقيادته، وتمكن الرجلان من إعداد جيش من 12000 رجل من الفرسان و 2000 من الفنطازية المنظمين وبعض المدفعية .

تريث الأمير قبل اتخاذه لقرار الحرب، ولجا إلى إجراء سياسي من اجل مزيدا من الضغائن ، فراسل القبائل طالبا منهم الامتثال للشريعة و تناسي الأحقاد ودفع الضريبة وحثهم على الاعتراف به أميرا على كافة القبائل من الغرب إلى الشرق ،وقال << لا ينبغي أن يغرنكم عددكم فلقد جمعت لكم منه ضعفا ، وان الله معي ، ولا يخالجنكم أمرا بالفرار فإنكم والله لستم بالنسبة لي سوى كوب ماء في يد رجل عطشان >>[40] .

لم يأت الرد من القبائل المعنية بهذه الرسالة في خلال مدة 24 ساعة فأمر الأمير بالزحف ودامت المعركة 3 أيام أين كانت إحداها أكثر ضراوة في أولاد عنتر بالقرب من بوغار ، وقد حسم جيش الأمير المعركة بالغلبة ، لكن محمد بن عودة المختاري سرعان ما راسل الأمير يطلب منه الأمان ، ومن اجل إخماد المعارضة ، عينه لقاء ذلك أغا على تجمع القبائل .

بعدما رتب الأمير تنظيم قبائل التيطري ، انخرط بعد ذلك في مشاكل عين ماضي بعدما ولى عليها الحاج العربي بن الحاج عيسى ، الذي لم يطلع الأمير على حقيقة الوضع التاريخي والسياسي لمنطقة الاغواط، وبعد الشكوى التي قدمها الخليفة الجديد بامتناع التيجاني الامتثال لسلطته ، قرر الأمير قيادة حملة عليها في 12 جوان 1838، بجيش يضم 6000 من سلاح الفرسان و 3000 راجل و6 مدافع

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228
Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هاوون و3 مدافع ميدان ، وقد ادهش التيجاني الذي لم يكن مستعد لمواجهة الحصارالذي استمر لمدة 15 يوما ، وقد كانت هذه الحملة التي شغلت الأمير غير متوقعة وستكون لها تداعيات حاسمة على مستقبل الأمير في المنطقة.

كان يمكن استمرار حصار عين ماضي الذي شاركت فيه قبائل ربوع أولاد نايل لشهور، لكن تلقي الأمير مساعدة إضافية رجحت الكفة لصالحه ، وقرر التيجاني مغادرة عين ماضي في 17 نوفمبر 1838 بعدما وقع معاهدة مع صهر الاميرعبد القادر مصطفى بن التهامي ، وقام الأمير على إثرها بتدمير المدينة وسواها أرضا ، وبعث برسالة يتحدث فيها عن التحاق كافة سكان الصحراء به باستثناء التيجاني الذي انتقل إلى الاغواط [41]

هزم الأمير عبد القادر بيجو في وادي التافنة ، وأرغمه على تجديد الصلح في 1837[42]. ورغم وقوف التيار الديني معارضا لإبرام المعاهدة ، إلا أن الأمير و بفضل الضغط الذي مارسه على قادته العسكريين ، ولاعتبارات سياسية تتعلق بضرورة حصول السلم الذي يكفل تنظيم القبائل ، وقع الاتفاق ،كما كانت فرنسا في الوقت ذاته بحاجة لتقييم المرحلة وتحديد منطلقات جديدة في مواجهة الأمير [43] .

كانت المعاهدة من هذا المنطلق ، تعبيرا عن رغبة سياسية لطرفين ، يرى فيها الأول عمل يجب انجازه للتحول لما هو آت ويرى فيها الثاني منفعة لا بد منها لإعادة ترتيب الأدوار، ولذلك فان استمرار المعاهدة كان مرهونا من حيث المبدأ بتحقيق الأهداف العاجلة ، ولم يكن قادرا على الاستمرار لوقت طويل ، وهكذا بقيت مسالة ضبط الحدود في مقاطعة الجزائر بموجب محتوى اتفاقية التافنة ثغرة للانقلاب على التعهد مرة أخرى ولذلك انقلبت فرنسا سريعا على الأمير عبد القادر بعد سقوط قسنطينة 1837 .

كانت الأحداث تتوالى في الغرب وفي الشرق من الجزائر، وكانت الخطط العسكرية العديدة والمتنوعة محل اختبار ، وكان عودة استهداف مدينة قسنطينة اكبر الرهانات التي ستفتح أفاقا جدية أمام توسع الاحتلال ، فبقدر ما كان سقوط قسنطينة في 1837 يمثل معركة رابحة لجيش الاحتلال، بقدر ما كان فرصة للأمير عبد القادر للمطالبة بوراثة هذا الإقليم الذي كانت تربطه به وحدة الوطن والدين، ولعل نص الرسالة التي كان الأمير قد وجهها للسلطان عبد المجيد أفصح من يعبر عن موقفه، وقد جاء فيها:

<< لما اخذ الكافر قسنطينة من يد احمد بأي ولم يبق في مقابلته من ذلك الوطن احد ، وقع الذي بيننا وبين الكافر على تلك الايالة ، فالكافر يحتج بأخذها من يد غيرنا وانه افني عليها أمواله ورجاله ونحن نقول المسلمون جسد واحد فاترك أمرهم إلينا ....فانتقض الصلح بيننا واشتعلت نار الحرب .ومنذ سنتين لم ينقطع بيننا طعن ولا ضرب وانه في هذه المدة خرج إلى المدية فوصلها بعد أحوال سيئة وطوالع ردية ، جعل 26 يوما مسيرة 6 ساعات ، وامتلأت الأرض من قتلى الفريقين بترادف الحملات ، وعجز الناس عن دفن القتلى ، ونتنت بهم الأرض ... وكل مدينة قصدها وقع عليها مثل هذا أو أكثر ، وإنا أخبرناك بالإجمال ولو فصلنا لكان في الاستغراب اكبر لان جيش الكافر المقابل لنا يناهز 100 ألف بسلاح تام وصواعق ومدافع>>[44]

كانت هذه الأحداث سببا في مقتل دمريمون على أسوار قسنطينة ، وتعيين الماريشال فالي COMTE Valée كحاكم عام ، وبداية الجدل في مضمون معاهدة التافنة 30 ماي 1838 فالجنرال فالي، كان قد أعرب منذ البداية عن رفضه لمحتواها ، و عبر عن ذلك في رفضه لقنصل الأمير بالعاصمة السيد M. GARAVINI ، الذي كان يتولى منصب قنصل الولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك أن الأمير كان يريد إقحام دولة هذا الرجل إلى صفه ، في حال قيام مناوشات غيران ذلك كان يتعارض مع المادة 15 من المعاهدة ،و التي كانت تفرض على ممثلي البلدين ، حمل صفة عرق بلديهما ، إذ يمثل الجزائر طرفا عربيا ، ويمثل فرنسا ، طرفا فرنسيا [45] .

استطاع الأمير أن يكون منذ 1838 سيدا على كل من إقليمي وهران و التيطري ومقاطعة الجزائر في الجزء الممتد بين شفة وواد قدارة وعلى مجانة والزاب الشرقي ، و أصبح سيدا لجزئي مساحة الجزائر، وباشرسنة 1841 تنظيم قبائل أولاد نايل ، من خلال تعيين جديد بن يوسف بصفة أغا عليهم، ووضع شيخ على رأس كل قبيلة ، إذ تولى كل من ،تلي ،و محمد بن زبدة ، وميلود ، وبن عطية ، وحران

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

، مشيخة القبائل ، لكنه عدل التنظيم سنة 1845 ، فوضع كل من سي الشريف من أولاد الغويني كخليفة ، وعين كل من تلي من أولاد سي احمد ، ومحمد بن عطية من أولاد ضية، وبن عبد السلام من أولاد الغويني بصفة أغا. ومن هنا نلاحظ بان كل القادة قد تم اختيارهم من أولاد السي محمد.(46)

لقد حتمت الضرورة الحربية المستعجلة اعتماد الأمير على مبدأ ولاء الزعامات القبلية لمنحها إدارة شؤون الأقاليم الخاضعة لسلطتها، لذلك لم يكن يتدخل في ترتيب الشأن الداخلي للقبائل محافظا على نفس مركز القيادة الذي كان على العهد التركي، متوخيا ضمان استقرار الإدارة السابقة ، ويتمكن من توظيف نفس الآليات التي وضعها الأتراك في جباية الضرائب وترضية القادة التقليديين لئلا تتكرر تجربة عدد كثير من الزعامات المخزنية التي وضعت خدمتها تحت سلطة الاحتلال ، على غرار قبائل زمالة والدواير في الغرب، وقبائل أولاد المختار وأولاد شعيب والبواعيش ورحمان في التيطري بعد سقوط زمالة الأمير عبد القادر في 16 ماي 1843 .

5. الإستراتيجية الفرنسية في مواجهة الأمير:

1.5/ سياسة الاحتلال العسكري:

لم تكن فرنسا مع السنوات الأولى لاحتلال قد ألمت بجغرافية الجزائر ولا بطبوغرافيتها ولا بالتنظيم الاجتماعي الذي كان سائدا خلال العهد التركي ، فلم تكن معرفتها تتعد إحصاء عدد الأتراك الذين لم يكن عددهم يتجاوز 15 ألف فرد في أحسن الأحوال، وقد اعتقد العسكريون الأوائل بان جيشا بعدد من 20 إلى 25 ألف عسكريا أحسن تنظيم من الأتراك باستطاعته الانتصار عليهم بكل سهولة ، غير أن المقاومة العارمة التي كان يغذيها فكر الجهاد والعداء للعنصر المسيحي وتقاليد الشعب الحربية والتركيبة الاجتماعية والزراعية ، كل ذلك وضع حواجز أمام مخططات الاحتلال، لذلك بدأ القلم يأخذ نصيبه في المعركة.

لقد توسعت دولة الأمير عبد القادر بعد 1838، وعزمت فرنسا على مراجعة مشروع الاحتلال الضيق الذي كان يقضي بانحسار الفرنسيين في المناطق الساحلية ، وقد كان عدد الجيش الفرنسي قد بلغ حينها 610000 عسكري ، كما مكنت السياسة الجديدة التي أعدها الماريشال توماس بيجو منذ تعينه حاكما عاما على الجزائر في 1841/02/22 إتباع أسلوب جديد يقضي بضرورة الخروج من عزلة المخيمات التي أقيمت على الساحل في خطوط من المراكز عبر وهران والجزائر وعنابة ، وانطلق في التخلص من مجموعة نقاط الاحتلال الصغيرة حول البحر، ليفسح المجال أمام احتلال مراكز جديدة على امتداد الخطوط الداخلية الموازية للساحل .لم يكن ذلك من اجل الاحتفاظ بها لوقت طويل ، لان ذلك كان مستحيلا من الناحية المادية ولكن من اجل التقريب بين حركة الساريات العسكرية المتنقلة التي استحدثت كأسلوب عمل جديد في المهمات العسكرية المقبلة .

لقد دشن بيجو إستراتيجية جديدة تقضي بالاحتلال الشامل انطلاقا من المناطق المجاورة للصحراء بما يسمح وضمان التموين، ومن اجل إسعاف المرض والجرحى بغير حاجة للعودة إلى الساحل، و لم يكن هذا الأسلوب إلا دعما لحركة الجيوش وإضفاء الحركية والنشاط في عملها المستمر ، فأية سارية لا يمكنها أداء مهامها لمدة طويلة و بصفة فعالة إلا إذا كانت تتمتع بنوع من الاتصال بمراكز التخزين والمستشفيات القريبة من تواجدها .

لقد كانت الساريات العسكرية المتحركة موجهة لكبح حركة جيوش الأمير ومنعها من الراحة و استفزاز فرسان القبائل وحمل السكان على العيش في حالة من الترقب والخوف المستمرين، وهو ما يفضي في النهاية إلى حالة من الضغط الشديد الذي يضمن مصالح الاحتلال الزراعية .

كانت الخطة تقضي بتكثيف التحرشات والاعتداءات الوحشية على القبائل بدون توقف ولا ملل لفرض الفرار على القبائل في كافة الاتجاهات ، ودفعها إلى تحاشي ملاقاة ساريات جيش الاحتلال ليسهل على هذه الأخيرة تقف أثرها باستمرار إلى غاية إخضاعها(47).

إن هذه الرؤية الإستراتيجية التي رسمها الماريشال بيجو ستكون محل اختبار على يد العسكريين الذين تولوا مهمة إخضاع قبائل التيطري،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فبعد احتلال المدية وملیانة سنة 1840 سقطت أهم مراكز دعامة الأمير في الإقليم ، وانطلقت بذلك مهمة دراسة المجتمع الجزائري وتشريح نظامه الثقافي والاجتماعي وقد تجند لهذه المهمة كبار الخبراء العسكريين وعلماء من مختلف تخصصات المعرفة الإنسانية في الجغرافيا وفي الآثار و التاريخ والانتربولوجيا والأدب والفنون والتصوف وغيرها من مجالات الحياة الأساسية وبات القادة العسكريون مطالبون بإتقان اللغة العربية ولغة التواصل الاعتيادية في المجتمع الجزائري.

2.5/ دراسة المجتمع الجزائري :

كانت حاجة النظام الاستعماري إلى معرفة اللغة العربية باعتبارها اداة ضرورية لفهم السكان عملية لا تقل أهمية عن المعارك العسكرية في الميدان، لذلك باشرت فرنسا نشرها بين الضباط والموظفين لتكون وسيلة ناجعة في كسر الحواجز بين الأعراق والثقافات ونسج علاقات مع الأهالي بما يكفل الاستيعاب التدريجي للشعب المغلوب ضمن عالم أفكار فرنسا وحضارتها و انطلق خبراء الاستعمار نحو دراسة ادب الجزائريين والبحث في عبقريتهم واصالة فكرهم كما انصرف الاهتمام الى معرفة إنتاجهم الفكري في مجال العلوم والتاريخ والفقه والدين ومن ثمة ادراك احكامهم[48]

وكان جوني فرعون[49] اول استاذ للغة العربية في الجزائرفي العهد الاستعماري وتخرج على يديه كبار الضباط العسكريين على غرار لاموريسيار وبليسي دي رينو ودوماس وغيرهم[50] كما كان جنتي دي بوسي (DE BUSSY) ؤول من انشأ مكتبة عامة جعلها نواة لجمع المخطوطات العربية من المساجد وغيرها ومطبعة عربية – فرنسية لطبع المنشورات الرسمية وجريدة le moniteur algerie n بالفرنسية لنشر أخبار الحكومة ومثلما اعد دروسا في اللغة الفرنسية لفائدة حضر مدينة الجزائر ويهودها ، قام بالموازاة بتقديم دروسا بالعربية موجهة للأوروبيين ، وساهم في إنشاء فرقة خاصة من المترجمين المحلفين القضائيين سنة 1835 ، إلى جانب فرقة المترجمين العسكريين والذين كانوا همزة وصل بين الجزائريين وسلطات الاحتلال ولو إن سمعتهم كانت غير مشرفة وكانوا يمثلون خليطا من مختلف الأجناس وانضم إليهم بعض الأهالي الذين يعرفون شيئا من العربية ، وانضم بعض اليهود الذين كانوا يتمتعون باحتكاك قوي مع الأوروبيين في إطار المعاملات التجارية [51].

لقد فتح التحكم في اللغة العربية مجالا واسعا في الاحتكاك بالشعب الجزائري ، و عكف العسكريون منذ البداية على اصطحاب المترجمين ، وانطلقت عملية كتابة التقارير والمدونات والمراسلات العسكرية ، واخذ الزحف باتجاه مناطق الصحراء، وقد لعب في هذا السياق مجموعة من المترجمين والعسكريين البارزين على غرار ليون روش [52] و ماري مونج Marey Monge ، في رصد وتدوين معلومات عن قبائل الصحراء، فمثلما اصطحب الأول الماريشال كلوزيل في حملته على المدية في سنة 1836 بصفة ترجمان عسكري [53] ، قام الثاني بإعداد ورقة عن احتلال قبائل أولاد نايل في 1844، وكان أول من صاغ مشروع تنظيم قبائل الصحراء الصغرى ، كما كان وراء هندسة خطة التوسع نحو الاغواط في 1844 ، و جمع معطيات عن تجارتهم مع التل في حين دون رسالة عن التيجاني وتأثيره في منطقة عين ماضي، واعد خطة لغزو أولاد نايل في سنوات 1843 1846 ، ووضع تأملات عن الأسباب التي أدت إلى الانتفاضة وموقف قبائل الجنوب أثناءها ، وحسم احتلال منطقتي دمد ومسعد في 1847 كما اقر تنظيم أولاد نايل وكتب رسالة عن التلي وبن عودة وبن يحي والقادة الرئيسيين في الجنوب كما اعد ورقة عن قبائل جبل عمور وكتب عن تاريخ القبيلة الكبيرة للزناخرة [54].

لقد كانت هذه الشخصية وراء تشكيل سارية الجنوب التي عبدت الطريق أمام الجنرال يوسف(Yusuf) في قيادة الحملة ضد مدينة الاغواط سنة 1852 ، وقد سمح إعداد الورقات وتصميم الخرائط والبيانات وجمع المدونات عن كافة الجوانب المتعلقة بالمناطق المستكشفة ، سواء فيما اتصل بالجغرافيا أو بالإنسان ، في وضع إستراتيجية محكمة تقوم على إعداد خطة عمل تسمح بتنظيم قبائل الصحراء على النحو الذي يضمن إخضاع السكان والسيطرة على الأرض ، ذلك أن المقاومات التي قادها سكان الصحراء قد كانت في أوجها ، وكان هاجس فرنسا يستهدف تصفيتها و فتح أفاق جديدة أمام التوسع الاستعماري في الصحراء الكبرى .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

3.5/ استنزاف ثروة القبائل واستمالة قادة القبائل

كانت الساريات العسكرية المتحركة تشتغل في نطاق حركة منسقة تتمركز في منطقة بوغار التي كانت ابرز محطة إستراتيجية في إقليم التيطري ، وقد تمكن الفرنسيون في يوم 27 مارس1844 من قمع سكان طاجين الذين واجهو حملة ماري مونج على الساعة 6 مساءا وجرح 3 من عسكر فرنسا [55].

في5دسيسمبر1845 أحكمت الحملة سيطرتها على مركز قوجيلة (عين الذهب)، وهي مدينة أولاد خليف وإمارة الخروبي الذي كان تابعا للأمير عبد القادر لوقت طويل ، والذي يبدو انه خشي من انتقام جيش الاحتلال بعد سقوط الزمالة بطاجين في ماي 1843 ، فطلب الأمان في نهاية 1843، لكنه سرعان ما التحق بالأمير عبد القادر بعدما عاد للظهور مرة أخرى في المنطقة.

لقد تولى مساعدة الأمير بشكل معتبر على رأس القبيلة القوية لأولاد خليف ، لكن جيش الاحتلال كان قد وضع يده على قوجيلة التي كانت تحوي 100 دار تقريبا وامسك بمواردها، فقد كانت تتمتع بنقاط لجوء عديدة لمقاومة الأمير وهي حزمة من القبائل التي كان يتخذها الأمير كمستودع لإخفاء مستلزماته من التموين في حال تنقله إلى التل أثناء الشتاء وهي المكان الذي كان يمثل مقصد القوافل لترتيب إغراضهم الضرورية .

كانت منطقة سانق وهي المدينة الرومانية القديمة تضم مطامير أولاد المختار وأولاد عبيد والزناخرة ورحمان غير أن سارية ماري مونج قد تمكنت من السيطرة عليها في يوم 13 ديسمبر 1845 [56].

في 11 ماي 1846 وصلت السارية العسكرية بقيادة الجنرال يوسف إلى جبل عمور الذي كان يمثل أهم منطقة لجوء لجيش الأمير، وقد كان جلول احد ابرز الخلفاء المخلصين له في انتظاره بالمنطقة، وبعدما عجزت مقاومة القبائل التي كان عليها أن تواجه قوة عسكرية من 4 فيالق و1600 حربة بقيادة العقيد لادميرول (LADMIRAULT) و3 أسراب من قناصة إفريقيا وسربين من قناصة فرنسا و 25 من الصبايحية بقيادة العقيد الوفيل (ALLOUVILLE) و460 سيف مبارزة، ولذلك لجا السكان إلى السهول الصعبة بالقعدة تجنبا لمواجهة الجيش ، وهكذا فرض الجنرال يوسف ضريبة الحرب على سكان جبل عمور بمقدار 3000 رأس من الثيران و 7000 خروف وقد بيعت 7000 خروف لخليفة الاغواط بثمن 28000 [57].

لقد دأبت الساريات العسكرية على تكثيف الحركة بين القبائل الثائرة ، ففي 15 ماي 1846 وبعد إرسال 3000 ثور المسلوبة من جبل عمور إلى متيجة لدعم تموين جيش الاحتلال، انتقل الجنرال يوسف عبر زنينة ، ثم باتجاه الغرب إلى أعالي جبل الصحاري الغابية ، ثم خيم المعسكر بواد الحرمة في مكان يسمى الطاروس ، وتوقفت بعدها بحوض زاغز لتواصل السير إلى عين حجر وبعد إن قطعت الواد، عسكرت بعين السلطان

في 17 ماي 1846 خرج فرسان وفيلق الزوافة إلى كل الاتجاهات تحت قيادة لدميرول لمحاولة إخضاع فرقة ثائرة من أولاد نايل من فرع أولاد الغويني ، وفي 18 ماي علم الجنرال بان العقيد لادميرول قد نجح في مهمته وانتقل إلى 3 أمكنة من عين السلطان وتمركز ب كريرش ، التي كانت تمثل اكبر مخازن أولاد سيي احمد، وفي صباح 19 ماي 1846 جاء برفقة 40 سجين و500 جمل و300 ثور و8000 خروف ، ولم تتعرض السارية إلا لجرح اثنان من قومتها ، ثم عادت السارية لكريرش بين 20 إلى 24 ماي 1846 وفرضت ضريبة الحرب على أولاد نايل ، بمقدار 160.000 فرنك وعدد معتبر من الجمال والخرفان التي استبدلت بالخيول في اليوم الموالي في الخرزة بالقرب من كثيان نبكة.

إن جديد بن يوسف ومحمد بن عودة المختاري وهما القائدان اللذان قدما أكثر دعما ومساهمة لانتفاضة الأمير عبد القادر سرعان ما تركا دواويرهم في منطقة البيضة ليضعا خدمتيهما تحت تصرف الجنرال يوسف وقد استفاد لقاء ذلك يوم 26 ماي 1846من عطلة منحها الجنرال لكل من بن عودة وجديد واحمد بن سالم وأغا الارباع.[58]

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لقد انقلبت عدد من القيادات التي طالما دعمت الأمير عبد القادر في منطقة ربوع أولاد نايل ، وتحددت معالم الإستراتيجية الفرنسية في السيطرة على مخازن الحبوب والمؤن واستنزاف القبائل من ثرواتها وتغريمها بمقدار لا يترك أية فرصة للنجاة ، في مجتمع كانت موارده الأساسية في قطعان الدواب التي كانت تملكها ، ورجعت النزعة المخزنية لتبعث دورها التقليدي بحماية الوحدات العسكرية الفرنسية، فظهر بن عودة المختاري الذي حافظ على مركز القيادة في أولاد المختار ، وجديد بن يوسف في وأولاد شعيب وجزء من قبائل أولاد نايل في الجنوب، ووسع احمد بن سالم سلطته التي أضحت تشمل بني الاغواط والارباع وجزء من أولاد نايل في بودرين ومسعد ، ونال عمر بن فرحات لقب باشاغا لمنطقة القبلة في مقاطعة مليانة لعروش أولاد عياد ودوي حسني وبني مايدة وبني لنت ولاد بسام ولاد عراج وولاد عامر وبني لحسن وبني شعيب ، وخضع لسلطته الاغاوان دحمان بن بختي ومرهون بن علي.(59)

كانت هذه التحولات تمثل نموذج مصغرا للوضع الذي أصبحت عليه الدولة التي أسسها الأمير عبد القادر ، ففي بداية 1844 لم يعد بحوزة الأمير إلا 200 إلى 300 فارس بعدما كان يقود 9000 رجل من المشاة و2400 خيل منظم وحوالي 6 إلى 8 ألاف فارس في سنة 1841 ، وقد أجهز الفرنسيون على المراكز التي أسسها الأمير على امتداد حزام التل والصحراء .

لم يعد أمام الأمير سوى الاستمرار في الضغط على القبائل التي وضعت خدماتها تحت سلطة الاحتلال، فأغار خليفته سي الشريف بلحرش في 28 ديسمبر 1845 على قبائل رحمان في منطقة عين مويلح، فانتقلت سارية ماري مونج (M.MONGE) و (BEDEAU) بيدو ب400 رجل إلى عين المكان الذي وقعت فيه الغارة ، وقدمت بحضورها دعما معنويا لقبائل رحمان والبواعيش في ملاحقة ذيل الغارة التي سحبتهم باتجاه قلتة السطل بناحية سبع ريوس، وقد شارك السي الشريف ب150 فارس و400 فنطازي ، وقد دارت معركة حامية أين فقد خلالها أولاد نايل كافة الغنائم و20 قتيل وعدد كبير من الجرحى الذين كان من بينهم شخصيات كانت تحضى بأهمية كبيرة ، كما تم الاستيلاء على كمية كبيرة من الذخيرة ، وقد سجلت خسائر في قومة الطرف الأخر ب12رجل قتيل وحوالي20جريح (60)

لقد كانت هذه الوضعية مؤشرا عن تحول عميق بدا ينتشر في جهات متعددة من ارض الوطن الذي سعى الأمير إلى بناءه، وهاهي تداعيات اتفاقية الكرمة 1835 التي اشرنا إليها سابقا تلقي بضلالها على مستقبل مشروع الوطن الفتي، فقد تضررت بنية التلاحم القبلي الذي كان مدفوعا في عمقه بمخلفات العهد العثماني ومتورطا في جهل عميق بالإستراتيجية العسكرية والسياسية لجيش الاحتلال .

استمر الاصطدام بين قوات الأمير عبد القادر والقبائل في منطقة ربوع أولاد نايل ، ففي مارس 1846 أغار على الدوائر في نواحي مقرن الشرقي ، وجابه قوات الجنرال يوسف في معركة دامية بمنطقة بنهار، الواقعة بين عين وسارة والبيرين بتاريخ 13 مارس 1846، وكانت المعركة بالحجم الذي كان يصعب فيه تحديد عدد القتلى في صفوف الأمير عبد القادر ، فهي قد جرت على مساحة واسعة وفي كل الاتجاهات ، ويرجح أن يكون عدد الذين قضوا في ارض المعركة في صفوف الأمير قد ناهز من 20 إلى 30 رجلا ، و 25 وقعوا أسرى كما سلبت فرق القومة خيمة الأمير ، وقرر الجنرال يوسف تعقب جيش الأمير، فاستدعى الدعم من عدة ساريات عسكرية ناشطة في محيط الإقليم التحقت به على عجالة في قلتة السطل ، ولكن عاصفة ممطرة منعته من الظفر بالأمير الذي انتقل نحو الجنوب للاحتماء بأولاد نايل في 13 مارس 1846.

دعونا نحيل الكلمة للجنرال يوسف وهو يعبر عن نفسية الحقد ضد هؤلاء الذين قدموا الدعم للأمير .. إن أولاد نايل الذين طلبوه إليهم ، هاهم اليوم ، يقفون على الهزيمة في قلب بلدهم الذي اعتقدوا انه سيتعصي على سرياتنا بسبب افتقارنا لمصادر المياه .

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لقد كانت خسائر جيش الاحتلال خفيفة ، قتيل في صفوف القومة و3 جرحى كما ضاع عدد من أحصنة الفرسان.و انتهت المعركة على الساعة السادسة وقد نجا الأمير بفضل فرسه بعدما ترك خيامه منصوبة .وانتقلت السارية إلى مجدل ووصلت إلى سهل فسيح يسمى مقرن يقع إلى جنوب غرب بوسعادة

تابعت ساريات الجنرال يوسف في 15 مارس باتجاه قعيقع، وأمام هول الاستعدادات فقد قصدت عدد من قبائل أولاد نايل تطلب الأمان وتعرض الاستسلام ، لكن ذلك لم يشفع لها فقد قال الجنرال يوسف لقد "رفضنا طلبها لان استسلامها كان بدافع المطاردة التي فرضناها عليهم و لأنهم هم الذين استقدموا الأمير عبد القادر إلى جنوب التيطري.."[61]

انطلقت الساريات العسكرية التي كانت بقيادة الجنرال يوسف من منطقة قلتة السطل يوم 20 مارس 1846 ب500 حصان و1200 حربة ، وقد اعد يوسف خطة عسكرية محكمة وعبرت جيوشه زلماط ثم اتجهت نحو زنينة ، الذين قاوم سكانها بإطلاق النار على فرق القومة التي كانت تتصدر الموكب ، غير إن فرق الصبايحية التي كانت تراقبها عن كثب أسقطت 30 مقاوما جثة هامدة و دخلت جنود الاحتلال إلى أسوار زنينة في جو من الفخر والتجوال.

كان الأمير قد غادر زنينة على الساعة الثالثة صباحا ليتجه الى سيدي بوزيد، وتعززت فرق جيش الاحتلال باستقدام سلاح المشاة الذي كان بقيادة العقيد رينو، وأقفلت باتجاه سيدي بوزيد في 23 مارس 1846 ، ولما وصلت بالقرب من المكان المسمى خنق الذيب ، كانت أخبار دمار زنينة قد بلغت الأمير على لسان من ساعفهم الحظ في النجاة والفرار ليلا من مكان الجريمة، لكن هذا التأخر كاد أن يوقع الأمير في كمين الجنرال يوسف .

لقد غادر الأمير بجيشه نحو الغرب وقام جيش الاحتلال بتدمير القرية وإحراق ديارها عن أخرها ، وتم معاقبة سكان سيدي بوزيد الذين استقبلوا الأمير عبد القادر بحفاوة ومنحوه الحلفاء والضيفة ، ثم أرشدوه إلى المسالك التي أدت به إلى الفرار، وتم السطو على مطامير الشعير التي أخليت عن أخرها ، وكاتب جيش الاحتلال كافة القبائل المجاورة والقرى بأنها ستتعرض لنفس المصير في حال ما هي حذت حذو زنينة وسيدي بوزيد .

لقد لجا الأمير باتجاه جبل عمور عند القائد جلول بن الطيب ، وتجند السكان في جبال القعدة الغنية بالثروة الطبيعية في محاولة منهم لعزل جيش الاحتلال ، لتلحق إضرارا بمخلفة الجيش، فهم كانوا يعتقدون انه لا يمكن الولوج لهذه المناطق من طرف اجنبي عن المكان، غير أن جيش الاحتلال قد غادر يوم 26 مارس 1846 .

لقد حتم الغياب الكلي للأراضي بقاء جيش الاحتلال بمنطقة البيضاء، وبقيت مسافة 6 أيام سير تفصلهم عن القعدة لحسم المعركة ، ويدعي الفرنسيون أن تأخر وصول ناقلات الدعم التي كان يفترض أن تصل يوم 26 أو 27 قد كان مخيبا لهم بل و الحق بهم ضررا كبيرا.

استمر الترقب وقتا في البيضاء أيام 28 مارس و29 مارس حيث وصل الرائد ،كربوجيا (Carbuccia) و ذهب الجنرال بفرسانه و700 حربة برفقة العقيد لونوتو ب 700 حربة ، ومن جهته قام كربويا (Carbuccia) على الساعة 8 من التقدم من القعدة بثلاث (03) أمكنة .

لقد ترقب جيش الاحتلال القطعان التي وصلت إلى مدينة المخولة ، وهي منهكة بالسير ، وحيث كان القومة والقرسان يتعرفون على واحدة منها وإذا بهم يتلقفون الخروبي قائد أولاد خليف الذي كان قد اخبر الأمير قبل شهور قليلة عن السيد لاكوست قائد مكتب العرب بتيارت، وقد تم إعدامه في الحال .وسلبت بعض القطعان التابعة لسكان جبل عمور من طرف فرقة الفرسان لتلبية احتياجات الجيش وخيم الجنود بالقرب من قصر آفلو على ضفة واد مدزوز.

بينما انصرف الرائد كاربوجيا (Carbuccia) إلى مركز بوغار ، لتفقد التموين الذي يمكن نقله إلى منطقة البيضة في 1 افريل 1846 ، تاركا جيش الجنرال يوسف في راحة بمنطقة البيضة ، غادر الأمير في 16 افريل 1846 باتجاه الشرق عند أولاد نايل، أين دفعوا له

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

200.000 فرنك كثمن عن الغنائم التي كان قد ابتاعها لهم إثناء جولته الأولى بالتيطري ، ومنذ ذلك الوقت ،أضحى جبل عمور هدف ثانوي بالنسبة لجيش الاحتلال وانتقل للبحث عن الأمير في كنف قبائل أولاد نايل.

في 2 افريل 1846،ترك جيش الاحتلال بالبرج العسكري بمنطقة البيضة ، 480 رجل و120 حصان كضرورة لمواجهة قومة جبل عمور ، وبالمقابل أخذت الفرق العسكرية الأخرى سيرها باتجاه الشرق ، حيث انتقلت فرقة رينو وفرقة كامو ب 1000 حربة والفرسان، لتقف إلى الشرق بجوار خنق الذيب ، ووصلت إلى عين حجيرة من اجل التوقف، وفي 4 افريل وصلت قوات السارية المتنقلة للرائد لدو موني إلى قصر الحمرة ، وبعدها إلى جبل زكار

كان الأمير عبد القادر قد خيم بحجرة سيدي نايل وهي مدينة رومانية قديمة لا تبعد كثيرا عن تعظميت ، وفي الصباح غادرت فرق الاحتلال قصر زكار ، وفر الأمير باتجاه جبل بوكحيل عند اولاد نايل و بينما خيمت جيوش الاحتلال بمنطقة زكار في 5 افريل 1846، التحق خليفة الاغواط احمد بن سالم ب 400 من فرسان الارباع ليأخذ نصيبا في الملاحظات التي كان الاحتلال يجمعها ضد أولاد نايل وتجند الفرسان و قطعتين مدفعيتين و800 رجل من المشاة واتجهت نحو جنوب شرق زكار وبقيت الوحدات الأخرى بزكار تحت قيادة القائد دي موني

لقد كان عدد كثير من السكان يفرون من أمام جيش الاحتلال و قام الفرسان بمحاصرتهم وانتهت الغارة بسلب من 6 إلى 700 جمل و 15000 خروف تم نقلها إلى المخيم وفي 6 افريل انتقل الأمير عبد القادر الى شمال شرق بوكحيل باتجاه عين الريش [(62)].

لقد خلفت هذه الأحداث مزيدا من الاستنزاف والتقتيل ومن شدة الذعر، أضاف التقرير "لقدر رأينا أولاد نايل مذعورين من تحركنا السريع فنزلوا للاستسلام

يكاد كل القادة الكبار الذين ساعدوا الأمير على تأسيس قوته، قد ساهموا في معارك جيش الاحتلال، وتحولوا إلى جنود في يده ، ولم يحتفظ الأمير عبد القادر إلا بحفنة صغيرة من مخلصيه، يأتي في الصف الأول الخليفة البركاني ومصطفى بن تامي والبوحميدي والسي الشريف بلحرش[(63)].

6. خاتمة:

ظهر الأمير عبد القادر في سياق تاريخي لم يكن فيه الشعب الجزائري قد تجاوز فيه محنة الأزمة التي ألمت بنظامه الاجتماعي ، وقد حاول مواجهة الغزو الاستعماري الذي كان متفوقا من حيث التنظيم والتجهيز، وتمكن عبر التعبئة العسكرية المشحونة بالتيار الديني الجهادي رفع التحدي في أكثر من مناسبة ، غير أن هشاشة البنية القبلية كانت غير قادرة على التخلص من ترسبات الماضي العثماني ومن الذهنية المخزنية التي كانت اكبر ثغرة استغلها جيش الاحتلال في تحطيم المقاومة الوطنية .

هكذا أضحت القبائل التي كانت تمثل مخزن العهد العثماني أشبه ما يكون بسند إضافي خرب جبهة المقاومة وحبس التنظيم الاجتماعي الذي بقي يراوح مكانه .فمن جرجرة إلى غاية المغرب تعرض جيش الأمير للتدمير بالمعارك ، والتخريب الممنهج الذي كان يزيد من البؤس كل يوم ، ويزرع اليأس، فقد أجهز جيش الاحتلال على كافة المراكز التي أسسها الأمير على امتدا حزام التل والصحراء ودمر مستودعات السلاح والذخيرة ومصانع الصيانة و المدفعية.

وقد أوشك على تضييع كافة سلاح المشاة في شخص بن علال خليفته الأكثر شهرة والأكثر تأثير في الشعب ، ويمكن القول إن موضوع الاحتلال قد حسم " فإذا كنا في بداية السنوات الأولى غير قادرين حساب المستقبل ضمن هذه المؤسسة الواسعة فانه يمكننا اليوم تلمس نتائج عملنا وبأننا أتممنا أول واهم فصل من هذا العمل" .يقول الماريشال بيجو.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

7. قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1- ناصر الدين سعيدوني، (2009)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، الجزائر، دار البصائر.

2- ناصر الدين سعيدوني، (2001)، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

3- شارل هنري شرشل، (دون سنة النشر)، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعدالله، تونس، الدار التونسية للنشر.

4- عبد القادر بن محي الدين الجزائري، (دون سنة النشر)، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، مجلد1، ط1، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية.

5- أحمد توفيق المدني، (2009)، أبطال المقاومة الجزائرية، ويليه جغرافية القطر الجزائري، الجزائر، دار البصائر.

6- أبو القاسم سعد الله، (1996)، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

باللغة الأجنبية:

1- Alex Bellemar, (1863), Abdelkader Sa Vie Politique Et Militaire. Paris Librairie De L. Cie. Boulevard Saint-Germain /N°77.

2- Laugier De Tassy , (sans date de publication), Histoire Du Royaume D'alger, A Amsterdam : Chez Du Sauzet M. Dcc. Xxv. Sd..

3- Urbain ISMAIL. (1843), Notice Sur L'ancienne Province Du Titterie, In Revue Africaine .

4- Service Historique de la Défense, GR.1H93. 30 Décembre 1843 .N585.12eme Année .Moniteur Algérien. J.O.C .

5- Marey Monge, (1846), Expédition De Laghouat Dirigée Au Mois De Mai Et Juin Par Le Général Marey, Commandant de La Subdivision De Tittery, Alger, De L'imprimerie De A Bourget ; Rue Sainte N1.

6– Archives outre-mer De Aix –En Provence Gouvernement Général De l'Algérie, 10h/78 .Armée d'Algérie, Province d'Alger, Subdivision De Médéa, Année 1846-1847, 1848, Renseignements Historique Et Géographique 1. Historique Des Oulad Nayls (M,Le Général Marey) Organisation De Cette Tribus. Note Sur Les Oulad Nails Et L'organisation A Leur Donner.

7- Archives outre-mer De Aix –En Provence, Gouvernement Général d'Algérie, –G1 10h83 -Territoire Militaire De Ghardaïa-Annexe De Djelfa – Monographie De L'annexe De Djelfa.

8- Au Capitaine Et H. Federmann.(1865), Notice Sur L Histoire Et L'administration Du Beylik De Titeri.Vol9.N52.

9- Féraud Charles. L. (1887), Le Sahara de Constantine .Notices Et Souvenirs .Alger. A. Jourdan .

10- Dr Bonnafont, (1880), Douze Ans En Algerie1830-1842. Paris.

11- Saint Arnaud, (1873), Histoire Des Oulad Nail. Faisant Suite A Celle Des Sahari .Vol 17.N100.

12- E. Pélissier. Annales Algériennes, (1839), Tome 3. Alger Brachet Librairie Marseille Chez Camoin. Librairie.

13- Archives De Aix –En Provence Gouvernement General De L'Algérie , 10h/78 .Armée D'Algérie, Province D'Alger, Subdivision De Médéa, Année 1846.47,48 , Renseignement Historique Et Géographique 1- Historique Des Oulad Nayls (M,Le General Marey) Organisation De Cette Tribus. Note Sur Les Oulad Nails Et L'organisation A Leur Donner.

14- Service Historique de l'Armée de Terre, GR1H 229. 15 -02-1844 Rapport De M Le Mal. Bugeaud Sur Les Moyens D'affermir Et D'etuliser La Conquête De L'Algérie.

15- Archives Aix-en-Provence, Algérie GGA G1 -10h78.Note Sur Les Larbaas Et Note Sur Les Ouled Nayel Ouled Aissa.

16- Service Historique de l'Armée de Terre, GR1H210 :Rapport sur les observations retenues dans l'expédition de Marey m. MEDEA 11 AVRIL 1844.

17- Service Historique de l'Armée de Terre, 1H210: 27 janvier 1846. Journal du chef d'état major de la colonne de Médéa commandée par le gal Marey et opérant au sud de Boghar du 23 nov 1845 au 5 janvier 1846.

18- Service Historique de l'Armée de Terre, 1H210: Journal Des Operations De La Colonnes Du Sud Commande Par Le General Yusuf.Du 1 Er Au 13 Mais 1946

19- Service Historique de l'Armée de Terre, GR1H93.Journal De Marche .Marey Monge.

20- Service Historique de l'Armée de Terre ,GR 1H210 . Journal Des Operations De La Colonne Du Sud Commandée Par Le General Yusuf Du 7 Mars -29 Avril 1846.

21- Le colonel c. Trumelet.le General yusuf.t2.paris 1890.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)